محمد علي هيثم.. سيرة مناضل كرس حياته للثورة والوحدة

▹ ما أجمل ان تحملك الصدفة لتقف مع مناضل وطني ثار ضد الظلم والطغيان والاستعمار والاستبداد وتنقلك إلى ينابيع المعرفة الحقيقية لتتزود من بحره علوم قوم وحكمة شعب حمل ابناؤه رؤوسهم على أكفهم وقدموا النفيس من أجل رفعة وازدهار الوطن..

ان بصماتهم تملأ صفحات أيام الوطن.. ودروب الحياة هذه الخواطر أحاطتني وأنا اتصفح كتاب المناضل الوطني البارز «محمد علي هيثم احد فرسان الثورات الثلاث» وفيما يلي حصيلة ما استطعنا استخلاصه من سيرة ومسيرة فارس ترجل..

اعداد: بليغ الحطابي

حكايات طويلة ومواقف مثيرة صنع تفاصيلها المناضل محمد علي هيثم منذ نعومة اظافره حتى استطاع جمع الوطنيين ووفق بين القوى السياسية..

وقد يستغرب البعض عن كيفية تكون فكر المقاومة لشباب امثال المناضل محمد علي هيثم الذي ينحدر من منطقة زراعية نائية وبيئة ريفية للبدء بمناهضة التواجد الاستعماري على أرضه والرفض للواقع الكامن في الجزء الشمالي من وطنه.. وكيف لمنطقة تقع على مشارف بحر العرب تمتاز بانها ولادة لقادة وسياسيين وآلاف المناضلين الذين توزع عطاءهم خلال مراحل الثورة اليمنية بين شهداء من أجل الوطن وانتصار قضية الثورة اليمنية الذي لايزال البعض الآخر يواصل العطاء لذات الاهداف العظيمة التي انطلقت من اجلها ثورة الشعب واندفعت الارادة الوطنية لتتحدى أعتى الجيوش العالمية ليشهد الشعب رحيلها مهزومة يوم الـ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

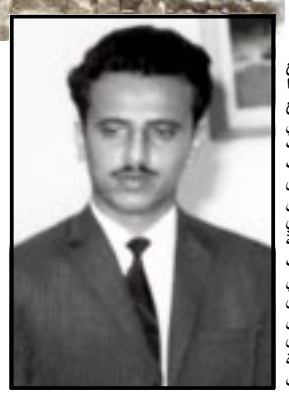

تعرض لمحاولتي اغتيال لنشاطه الوحدوي..

اصطدم مع اذيال الاستعمار.. فتنحى عن منصبه حرصاً على الثورة

وعي ثوري

كان لوعي هيثم- كما يقول رفيق دربه محمد السياري وادراكه لثقافة الحياة ورتابة التطور وركام التخلف المخيف الذي احاطت به السياسة الاستعمارية منطقة الجنوب من الوطن كانت الدافع الاساسي للبدء برحلة البحث الشاقة والطويلة للوقوف على الوسائل والادوات الكفيلة بانتفاض الواقع على نفسه وثورته على مقومات تخلفه ورموزه.. بما في ذلك الارتقاء بوعي الناس وايصال المواطن الى استيعاب هذه القناعات والامتثال لتبعاتها والتضحيات التي ستترتب على ذلك معتمداً على ماتميز به من هدوء ورصانة وسعة صدر وواقعية.

لجأ محمد علي هيثم الى التعليم المنهج بمراحله المختلفة بمدينة عدن الباسلة كمدخل لتحقيق ذلك الهدف فكافح من أجل اولى اهدافه ليعود بعدها الى مسقط رأسه منطقة دثينة وهي الولاية الوحيدة التي رفضت قبول الحماية البريطانية كما لم تقبل بتوقيع اتفاقية بهذا الصدد مع المحتل في الثلاثينيات والاربعينيات من القرن الماضي على النحو الذي عملت به بقية السلطنات والمشيخات في جنوب الوطن فاعتمدت على اختيار لجان اهلية لادارة شئونها وحل قضايا مواطنيها ولذلك سميت جمهورية «دثينة» وهي تسمية جريئة اتخذت الصفة الشعبية والرسمية وطبعت على أوراق التعامل المختلفة.. كما كانت دثينة احدى بؤر القومية المولدة للانتفاضات الشعبية ضد القوات البريطانية التي زج بها المستعمرون الى المنطقة والتي مثلت مع منطقة العواذل مديرية لودر حالياً ساحة مشتركة للمقاومة وللتواصل مع الثوار والمناضلين في شمال الوطن لدك حكم الامامة البائد فيما بعد.

> اوجد استعداداً شعبياً لمقاومة الاستبداد والاستعمار

البداية..

حين انهى فقيدنا دراسته بمدينة عدن كان قد تأثر بأفكار التيارات السياسية الوطنية في عدن وانعكاس الحركة القومية العربية التي كانت لها حضور وصدى واضح وملموس، وقرر العودة الى مسقط رأسه لغرض التوعية وتجييش الناس وخلق الاستعداد لديهم للتعامل مع الحقائق الجديدة وهي وجود الاستعمار في ارض الوطن وضرورة تحريره.

يقول الكاتب الصحفي عبدالرحمن خباره، احد زملاء المناضل محمد علي هيثم لقد وجد نفسه قائداً على هذه الجبهة بل وفي صدارة القيادة السياسية نظراً لمساهمته الكبيرة التي تجلت عبر نضاله الثوري ونضاله في العمل السياسي فيما بعد وكان ظاهرة وطنية ما احوجنا اليوم الى معرفتها وسبر اغوارها لنتعلم منه الكثير وما أكثر مايمكن ان نتعلم من ذلك المناضل الفذ صاحب التجربة الكبيرة والعميقة.

الوعاء الوطني

ويخلص نجيب السلامي في حديثه عن رفيق دربه هيثم فيقول: انه كان يمثل الوعاء الوطني الحقيقي الذي يحوي ويجمع مختلف أبناء الوطن.

فيما يقول محمد ناصر شراء- أحد طلابه:

حين عاد الى منطقته دثينه للتدريس بعد انهاء مراحله التعليمية في عدن وتشرّب منها الروح القومية والمبادئ الثورية بدأ بجمع الناس من أهالي المنطقة حوله وتوعيتهم وتثقيفهم حول الثورة والاستعمار الطاغية وضرورة الانتفاضة على ذلك كنا نشعر انه شخصية غير عادية وما هي إلا اشهر معدودة حتى حرك المياه الراكدة في تلك المنطقة ولدى مجموعة من رفاق دربه من المناضلين لمساندة ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م والبدء بخوض مسيرة الكفاح المسلح لتحرير الشطر الشمالي من الوطن من الامامة الكهنوتي.

> جمع لأول مرة الأدباء في الشطرين على مائدة واحدة

ويذكر الاستاذ عبدالله عبدالرحمن بكير احد رفاق الفقيد بانه كان يجمع بين الرؤية الثورية في التغيير وبين مرونة الموقف المبدئي من أجل غايات اسمى وأنبل وأعظم وهي اهداف الثورة اليمنية الذي ظل مخلصاً لها ولقيم الشعب وتطلعاته حتى ارتبط اسمه بتاريخ الثورة ومسار تطورها، بل واصبح واحداً من رموزها ليبقى من الصعب جداً الفصل بين سيرهم الذاتية والمسار التاريخي لنضال شعبنا اليمني في التاريخ المعاصر.

النضال الثقافي

- عاش محمد علي هيثم محبوباً ومات محبوباً فكان رحيله في ٩ يوليو ١٩٩٣م خسارة وكارثة كبيرة للوطن لانه عاش للآخرين قبل نفسه.. حيث يقول شاعر اليمن الكبير المرحوم عبدالله البردوني ان محمد علي هيثم حين كان رئيساً للوزراء هو أول من جمع أدباء الشطرين في الشمال والجنوبي عبر اقامة مأدبة غداء للتعارف في دار١٤أكتوبر فكان ذا ثقافة عالية لكنها من النوع الذي يغمر ولايبصر.. وكان يوم ذاك سلطة منفصلة عن تناظر الامين العام واقتراح مجلس الرئاسة وكان يخصص كما سمعنا وقتاً للشعراء والادباء خاصة في الادب والرواية.

أهداف مشروعة

-هكذا عاش محمد علي هيثم المعلم والمناضل فلم يكن يتطلع من خلال مواجهة الاخطار التزامه الوطني اكثر من بلوغ الاهداف المشروعة للشعب وطموحاته وامانيه التي جسدتها مبادئ واهداف الثورة.. ويقول أحمد المقشطة: ان هيثم جسد سلوكاً نضالياً رفيعاً وموقفاً وطنياً لم ينفرد به إلا القليلون من رموز النضال الوطني في تلك المرحلة والتي تتعلق بقضية وحدة الثورة اليمنية ووحدة المصير الوطني ووحدة الشعب والوطن اليمني.

رؤية القائد

اما احمد المقشطة وهو من رفقاء الفقيد هيثم فيقول: «مثنى» وهو الاسم الحركي للفقيد الذي اتسم بالذكاء المتقد والتواضع وجمع بين صلابة المواقف وهدوء الحوار وبين شجاعة المواجهة وصراحة الطرح بين حماس المناضل ورؤية القائد بين بشاشة التسامح وصرامة الحديث ومصداقية العهد والوعد فكان بذلك رمزاً وطنياً وقوياً فرض احترامه حتى على ألد خصومه.. ونظراً لتلك السمات القيادية فقد جعلته يوسع علاقته العربية والقومية ويحظى بحضور دولي ومواقف مؤيدة لشفاعته ليوظفها لمصالح وطنية لذا ظل حاملاً همومه بين جوانحه مخلصاً لقضاياه الى الحد الذي نسي معه معاناة الغربة والمنفى..

وأخيراً

- في الأخير لا نستطيع أن نقول أكثر مما قاله فخامة الأخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية «لقد خسر الوطن بفقدان «محمد علي هيثم» (الذي توفي إثر نوبة قلبية صبيحة يوم الخميس التاسع من شهر يوليو ١٩٩٣م) ابناً باراً وعلماً بارزاً من أعلامه ومناضلاً صلباً وفارساً شجاعاً وجسوراً اقتحم دروب النضال والحرية وقدم الكثير من اشكال البذل والعطاء والمعاناة والتضحية من أجل حرية الشعب ورفعة اليمن وتقدمها وعزتها.. وهي الحقيقة التي مكنته من أن يحتل مكانة مرموقة وخالدة في حياة شعبنا وتاريخه.□

المناضل محمد علي هيثم في سطور

- من مواليد عام ١٩٤٠م قرية الحسك مديرية مودية بمحافظة أبين له عشرة أبناء.
- أكمل دراسته الابتدائية بمدرسة مودية.. والمتوسطة بمدينة أبين وتابع دراسته الثانوية ومعهد المعلمين بكلية عدن بالشيخ عثمان.. ثم التحق بالسلك التربوي بالمدرسة المتوسطة في زارة بمديرية لودر عام ١٩٦٢م، والمدرسة المتوسطة بمودية التي أبعد عنها أواخر ١٩٦٣م بسبب نشاطه الوطني والسياسي وقيامه بتنظيم خلايا ثورية لمناصرة ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م والتحريض على الثورة ضد الوجود الاستعماري في الجنوب.
- في العام ١٩٦٥م تولى قيادة جبهة المنطقة الوسطى ومن ثم تولى قيادة القطاع الفدائي في المدن التابعة لعدن عام ١٩٦٦م.
- مطلع ١٩٦٧م أبعد من قبل القيادة المصرية الموجودة حينها في اليمن من قيادة جبهة عدن مع عدد من زملائه.. وفي النصف الثاني من العام ذاته عاد إلى أرض الوطن ومعاقل الثورة وشارك في اسقاط السلطات المحلية في مناطق الفضلي والعواذل ودثينة وبيحان وعدن التي تعرف اليوم بأبين..
- تقلّد في حكومة الاستقلال وزيراً للداخلية شهر ديسمبر ١٩٦٧م وفي اعقاب ٢٢ حركة يونيو ١٩٦٩م اختير عضواً حينها بمجلس رئاسة الدولة ورئيساً للحكومة.
- في عام ١٩٧٠م شارك في لقاء لحكومتي الشطرين مع أخيه محسن العيني رئيس الوزراء في شمال الوطن آنذاك.. وهو اللقاء الأول الذي دشنت فيه أولى خطوات الوحدة اليمنية.
- في يونيو ١٩٧١م قدم استقالته من مناصبه في الدولة والحكومة والتنظيم السياسي بسبب تعارض أفكاره مع النهج الماركسي ونفي بعدها إلى موسكو، في ١٣ أكتوبر غير أنه عاد أواخر عام ١٩٧٢م إلى القاهرة كلاجئ سياسي وأعلن فيها تاسيس «جبهة الوحدة اليمنية» مع عدد من رفاقه ومؤيديه..
- وبسبب نشاطه الوحدوي الذي رافق إعلان الجبهة تعرض لمحاولتي اغتيال أثمتين دبرتهما أجهزة النظام الحاكم في عدن حينها الأولى في القاهرة والثانية في عامي ١٩٧٥ / ١٩٧٦م.. إضافة إلى محاولات أخرى أحبطت من قبل أجهزة الأمن المصرية واليمنية.
- في ثمانينيات القرن الماضي أسس (التجمع القومي الوطني اليمني) في صنعاء..
- في ظلال الوحدة المباركة التي تحققت في يوم الـ ٢٢ مايو ١٩٩٠م اختار الفقيد «المؤتمر الشعبي العام» الإطار السياسي الذي يمارس من خلاله ويواصل نشاطه السياسي لحماية الوحدة واستكمال بناء الدولة اليمنية الحديثة من خلال انتخابه في عضوية اللجنتين العامة والتنفيذية للمؤتمر.
- وعند تشكيل اللجنة العليا للانتخابات اختير عضواً فيها ورئيساً للجنة الأمنية عام ١٩٩٢ / ١٩٩٣م ليلعب دوراً فعالاً ومؤثراً في إجراء أول انتخابات برلمانية وانجاحها والتي أجريت ٢٧ إبريل ١٩٩٣م.
- وعند تشكيل الحكومة الائتلافية يونيو ١٩٩٣م عين وزيراً للتأمينات والشؤون الاجتماعية والعمل.
- وفي ظهر يوم الخميس الموافق ٨ / ٧ / ١٩٩٣م أصيب بنوبة قلبية وهو يؤدي واجب في الوزارة وانتقل فقيد اليمن الكبير المناضل محمد علي هيثم إلى جوار ربه.. رحمه الله واسكنه فسيح جناته.□

رجل الحوار الأول

■ رجل الحوار والتسامح والعفو ذلكم هو فخامة الأخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية الذي بدأ مع اشراقة يوم ١٩٧٨/٧/٧م أول خطوة إلى باب الديمقراطية مطلاً على الشعب من مجلس الشعب التاسيسي، ثم خطا الخطوة الثانية نحو الحوار، ودعا قيادات وأفراد الجبهة الوطنية للحضور والجلوس على مائدة الحوار، كما دعا في ذات الوقت المشائخ وكل أطياف اليمن أحزاباً وجماعات..كان الحوار في تلك المرحلة الصاخبة لغة غريبة وأسلوباً مشوباً بالحذر والشك وسوء الظن، بل وبالعداوة والبغضاء والحقد.

الروح الثورية وثقافة الإقصاء والإبعاد، بالقوة وبالسلاح وبالقتل أو بالسحل أو بالسجن أو النفي هي ثقافة سائدة لتلك المرحلة المتاججة والملتهبة، والتي اعتقدت أنها تفرض النظام وترى أن فرض الهيبة هو بأسلوب الرهبة والقمع، وبالقبضة الحديدية والبطش والجبروت، مرحلة يمكن أن نلخصها في عنوان كتاب صدر في تلك المرحلة، عنوانه: من يجرؤ على الكلام، ويشرح مضمونه شطر بيت للشاعر الذي قال: (إن الجدار له أذن)

لكنها ورغم شدتها وقساوتها وهي في مجمل القول يمكن أن يُقال عنها: فتنة عمياء صماء بكماء لاتسمع ولا تنساق لقائدها، لكن لغة الصالحين فيها وفي مثلها: اشتدي أزمة تنفرجي، أو قولهم في الشعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا
وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

كانت بشائر الإنفراج بمجيء بشير الخير وكانت زغاريد الفرح بميلاد جديد لأمة ووطن في أشد الأوقات وأصعبها وأكثرها اضطراباً تأسست مدرسة جديدة في اليمن اسمها مدرسة الحوار على يد مؤسسها الأول في العصر الحديث فخامة رئيس الجمهورية الأخ علي عبدالله صالح، مدرسة الحوار القائم على منهج الديمقراطية وعلى مبدأ التسامح والعفو، مقدراً أن آثار الماضي وثقافته القاسية تحتاج الى صبر ورفق والى حكمة وبصيرة، فتعامل معها بكل ذلك متدرجاً بأفرادها وأطرافها خطوة خطوة ومرتقياً بهم درجة درجة متنقلاً بهم من مرحلة الى مرحلة وداخلاً بهم من عهد الى عهد، مجتباً كل الأطراف والأطياف والألوان السياسية أخطار المماحكات السياسية والمهاترات الاعلامية، والرغبة لدى كل طرف بإلغاء الآخر أو تغييبه.

د/ محمد عبدالله المحرابي

إنها مدرسة تؤسس «كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها».مدرسة الحوار جعلت من الأطراف المتباعدة شركاء، وحولت كثيراً من الأفراد والأشخاص قادة في الوطن، وقيادات أسهمت بطاقاتها وإمكاناتها في خدمة الوطن، وتحولت تلك الشخصيات من قيادات لقبائلها أو جماعاتها أو أحزابها أو لمناطقها الى قيادات للوطن كله، وقربت مدرسة الحوار من شخصيات لم تألف التقارب مع الكيان الحزبي الآخر، أو الكيان القبلي الآخر، وظلت كذلك مدرسة الحوار تؤلف بين أعضاءهذه الكيانات وتشركهم في مهمة رأياً للصدع وحرصاً على التعارف والتعاون..وكلما مالت بعض الاطراف الى ممارسة العنف وأرادته وسيلة التغيير تدخلت مدرسة الحوار بلغة العقل وبلغة الحجة والمنطق وبلغة الدليل والبرهان، وبلغة العلم والتقارب ومد الجسور وبلغة الحب والتعاون، تتدخل مدرسة الحوار بخبرة وحنكة وإدراك ووعي، مدركة بعظم المهمة وعظم المسؤولية الدينية والوطنية والمحلية والعالمية، ومدركة خطورة العنف والتطرف والغلو، وخطورته على الحياة وعلى التنمية، وخطورته على مصلحة الفرد والجماعة هذه المدرسة بمؤسسها نالت بجدارة شهادات واوسمة وسام حوار الحضارات من بريطانيا والجائزة الدولية لمنتدى حوار الحضارات بفيينا ووسام إكبار الشعب الروسي في السلام العالمي، واعتبر شخصية التحول الديمقراطي من قبل مركز ابحاث الشرق الاوسط، وهي شهادة للحوار ولرجل الحوار ولمدرسته مدرسة الحوار ومصنع الرجال.

لم ننس ذلك التدرج لرجل الحوار الأول كيف تدرج بالشعب من مرحلة العشوائية الى مرحلة النظام وحب النظام كان المواطن يفتخر ان يدخل الى العاصمة بسيارة بدون لوحة وكان يفتخر أن يدخل العاصمة حاملاً سلاحه ومتابطاً كل أنواع المخالفات، بل كان يفتخر انه لا يدرس ابنه ولا بنته في المدرسة، ويرفق القائد الحكيم تحول المواطن اليمني الى مواطن يعشق النظام ويحب النظام بعد ان ترك ثقافة الثار وثقافة قطع الطريق ترك كل ذلك الى ثقافة التسامح والتعاون والحب وبقية الظواهر السلبية هي في طريقها للتلاشي شيئاً فشيئاً، وخطوة خطوة.

اليوم شعبنا حتى في الريف اليمني لم يعد يتباهى بحمل السلاح بل ترك حتى في الاعراس التباهي بإطلاق الاعيرة النارية في الهواء.. ومن كان يظن مجرد الظن أن الشعب اليمني سيتسابق على صناديق الاقتراع والمنافسة الديمقراطية دون أن يحمل السلاح ويشهر السلاح ويهدد بالسلاح بقيت لغة الصحافة اليوم وتهويل الإعلام، بقي الصخب الاعلامي، الاعلام الذي يهول من السلبيات ويهون من الايجابيات، كفيل بثقافة الحوار ومدرسة الحوار وباسلوبها المعتاد - الصبر والرفق - أن تحول وأن تجعل من لغة الإعلام، لغة الوطنية والإخلاص للوطن، والارتقاء بأسلوب الخطاب والحديث والكتابة الى مستوى الدين والوطن والوحدة والديمقراطية في إجماع وطني تتلاشى أمام الأطياف السياسية كل الصغائر فيكبر وطن يمن فيه، وتكبر التنمية، نغلق ونتعاون جميعاً في إغلاق منافذ الشرور الوافدة قال تعالى: «ولا تنازعوا فتفشلوا»، «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» رجل الحوار وحده يملك بإيمانه وبخبرته كيف يحول إذا فشل المتحاورون نجاحاً للحوار وهو بإعادة لغة الحوار وتكرار المحاولة حتى ينجح الحوار، وكما نجح به في أصعب الظروف واقساها هو قادر أن يجعله ناجحاً في ظروف هي أقل صخباً من تلك التي بدأ فيها الحوار واستمر لغة واسلوباً لكل المنعطفات والتحولات.□

● عضو لجنة الحوار

باسم الـ٣٠ من نوفمبر:
نطالب الدولة بردع كل من يحاول المساس بالوحدة

■ في الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧م خرج آخر جندي بريطاني من جنوب اليمن، وكان ذلك اليوم المشهود بمثابة بداية انطلاقة جديدة لإعادة اليمن إلى وضعه الطبيعي كيمن موحد.. أرضاً وإنساناً.. ورغم أن الشلة التي كانت تحكم الجنوب آنذاك قد كرست مبدأ الانفصال بإقامة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في الجنوب، إلاّ أن الشعب اليمني كان موحداً ر غم أنف الجميع، فكنا نجد التصاهر والتقارب بين أبناء اليمن الواحد في الشمال والجنوب.

ورغم أن برميل كرش الملعون كان يفصل بين شطري اليمن جغرافياً إلاّ أنه لم يفصل بينهم كيمنيين ينتمون لشعب و احد يجمعهم المصير المشترك والتاريخ والأرض، ليؤكدوا لأصحاب الدعوات التي نسمعها اليوم من أصحاب المشاريع الصغيرة الحالمين بإعادة التاريخ إلى الوراء، أنهم خاسرون.

وانبثق الفجر

وفي الـ٢٢ من مايو عام ١٩٩٠م عاد الوضع إلى طبيعته وانتصر اليمن وشعبه.. وانتصر الشعب ليوم الـ٣٠ من نوفمبر عندما أعاد تحقيق وحدته على أيدي رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وفي مقدمتهم فخامة الأخ علي عبدالله صالح -رئيس الجمهورية رئيس المؤتمر الشعبي العام- الرجل الذي وضع الوحدة في حدقتي عينيه وحمل على عاتقه حمايتها من كل من يحاول المساس بها كونها ترجمة فعلية للثورة اليمنية (سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر) التي ضحى الثوار في سبيلها بدمائهم وأرواحهم.

أحمد الرمعي

فتحية ليوم الـ٣٠ من نوفمبر العظيم وليحفظ الله اليمن من كل مكروه.. وليعلم المرجفون أن اليمن سيظل موحداً أرضاً وإنساناً رغم تخرصات المرجفين في الأرض من أصحاب النفوس الضيقة الذين يعيثون في الأرض فساداً ويحاولون العبث بالأمن والاستقرار ظناً منهم أنهم يستطيعون تقويض وحدة الوطن.

فباسم الـ٣٠ من نوفمبر نطالب الدولة وأجهزتها الضرب بيد من حديد كل من تسول له نفسه المساس باليمن وأمنه ووحدته.□